الزوايا من المنظور سوسيو ثقافي

- أ.زيزاح سعيدة
قسم علم الاجتماع والديمغرافيا
جامعـــــة الأغـــــواط
- أ.بوخدوني صبيحة
قسم علم الاجتماع والديمغرافيا
جامعـــــة البلـــــيدة

تمهيد:

تعتبر الزوايا من المؤسسات الاجتماعية الجديرة بالاهتمام من حيث ثبوتها عبر الزمان والمكان.

حيث تحظى بقدر لا بأس به من الدراسات والمداخلات والمناقشات العلميـــة، خاصة في تاريخ الجزائر الاجتماعي والثقافي فقد كانت من المواضيع الملفتة للانتبـــاه منذ بداية ظهورها، لكثرتها وامتدادها وانتشارها فـــي الأريـــاف والمـــدن والجبـــال والصحاري الواسعة، وإقبال الناس عليها لأخذ العلم من مشايخها، كل هذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانتها في المجتمع وظل النقاش قائما حول موضوع الزوايا بين القبول والرفض فهناك من ينظر إلى الزوايا على أنها أوكارا للبدع والخرافات وبـــؤرا للمفاسد، ومنبعا للعادات الفاسدة التي تشد الفرد إلى الوراء، وفي المقابل فهنـــاك مـــن يرى أن هذه الزوايا مركزا للإشعاع الروحي والعلمـــي ومنبعـــا للهدايـــة والفـــضيلة والأخلاق، وأنها صاحبة الفضل في استمرار أفكار الصوفية، وكذا الحفاظ على الإسلام والقرآن الكريم وظلت المكان الذي يلتقي فيه المريدون لمشايخ الطرق الصوفية لأخـــذ الأوراد أو طريقة الذكر، وكذا تعليم الفقه والعلوم الدينية.

هذا من الناحية الدينية. أما من الناحية الاجتماعية فهي مكان لاستقبال الضيوف والفقراء والمساكين، وعابري السبيل ،فهي نقطة التقاء مختلف شرائح المجتمع ومن الناحية التاريخية كانت المكان الذي يختبئ فيه المجاهدون أيام الاستعمار.

أما من الناحية الثقافية فالزوايا لها وظائف ثقافية تقوم بها كالاحتفالات الدينية، وإقامة الصدقات السنوية وتنظيم دورات سنوية، ويرجع الفضل في كل هذا إلى شيوخها. كل هذه آراء تدور حول موضوع الزوايا بصفة خاصة وسنتناول في مقالنا هذا الزوايا من منظور سوسيو ثقافي لكن قبل ذلك لا بد من طرح الأسئلة التالية :

ما هو مفهوم الزوايا ؟ وما هو نظام الزوايا المعمول به بالجزائر ؟ وما هي الوظائف التي تقوم بها هذه الأخيرة ؟

1. تعريف الزوايا :

والزاوية : جمع زوايا، 1- البيت: ركنة، 2- مسجد غير جامع ليس فيه منبر، 3- مأوى للفقراء والمتصوفين [1]

فالزاوية هي ذلك المكان الذي يجتمع فيه الأفراد للصلاة والقيام بالأعمال الخيرية، وتطبيق ما جاء من أفكار الطرق الصوفية لتصبح بذلك مؤسسة، منظمة يرأسها " الشيخ " أو الخليفة، وينوبه "المقدم" الذي يتفاعل مع المريدين، وكذا الطلبة، فكل فرد من مسيري الزاوية له وظيفة خاصة مكلف بها اتجاه المجتمع.

تعريف للزاوية من الناحية الإجرائية : فيمكننا القول بأنها في الهندسة مستوية الشكل الناتج عن مستقيمين متقاطعين في نقطة ويطلق على المستقيمين اسم ضلعي الزاوية، ونقطة التقاطع اسم رأس الزاوية وفي الهندسة الفراغية، تنتج الزاوية عن تقاطع مستوين في خط مستقيم باسم الزاوية ثنائية الأوجه فإذا زاد عدد المستويات على اثنين فان انفراج الواقع بين هذه المستويات المتلاقية في نقطة تسمى الزاوية مجسمة كثيرة الأوجه.[2]

وكتعريف للزاوية هي في الأصل ركن للبناء، وكانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة المسيحي ثم أطلقت على المسجد الصغير أو على المصلى، ولا يزال للكلمة هذا المعنى عند المسلمين بالشرق، ذلك أنهم يفرقون بينها وبين المسجد الذي يفوقها شأنا وهو معروف "بالجامع" (3).

ودائما في تحديدنا للمفهوم الزوايا فقد ذكر المقريزي " الربط : هو جمع رباط ،وهو دار يسكنها "أهل طريق اله ،وهو بيت الصوفية ومنزلهم ، والمرابطة ، ملازمة ثغر العدو ، وقيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم والمقيم في الرباط على طاعة الله ، يدفع بدعائه البلاء عن البلاد والعباد (4).

وتسمى الزاوية في المشرق العربي" خانقاة " وهو لفظ أعجمي ، وقيل في تعريف الزاوية المغربية أنها مدرسة دينية ، ودار مجانية وهي بهذين الوصفين تشبه كثيرا الدير في العصور الوسطى (5).

ليصفها الدكتور أبو القاسم سعد الله " بأنها عبارة عن مجمعات من البيت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام ، فالزوايا غالبا ما جمعت بين هندسة المسجد والمدرسة ، قصيرة الحيطان منخفضة القباب والعرصات (6).

ليظل مصطلح الزاوية محتفظا في شمال إفريقيا بمعنى أكثر شمولا من ذلك، إذ يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني وهي تشبه الدير أو المدرسة.

حتى أن كل أماكن اجتماعات أتباع زاوية ما، أين المسلمون يمارسون صلاتهم وكل العبادات تسمى الزوايا. وهي عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام.(7)

وعليه فالزاوية هي البيت أو مجموعة البيوت المخصصة لعبادة الله ولقراءة القرآن الكريم وكذا لإيواء الفقراء والمساكين، والضيوف، ومعظم الزوايا المتواجدة في الجزائر على شكل مساجد يدير أمرها مشايخ يصلون فيها ويدرسون مختلف العلوم الدينية ويذكرون الله فيها وكذا التربية الروحية.

2. انتشار الزوايا في المغرب العربي :

ظهرت " الزوايا " بالمغرب العربي حوالي القرن الثالث عشر ميلادي ويأتي لفظ الزوايا مرادفا " للرابطة " أي صومعة التي يعتزل فيها "الوالي" ويعيش وسط تلاميذه ومريديه، ومع ذلك فان الزاوية أو الرابطة ليست في جميع الأحوال هي الرباط وهو منشأة تخدم غرضا أخر كان له في بادئ الأمر طابع حربي.

وكإضافة لما سبق، فان كلمة "رباط" تستعمل أيضا في مراكز للدلالة على المنشأة التي يوجد فيها النشاط العسكري بصفة خاصة إلى نشر الإسلام نجد السيف [8].

وكان انتشار الزوايا في المدن كما انتشرت في الريف بشمال إفريقيا وذلك في القرن 10 م حيث ظهرت حولها مدن وتعتبر فروعا للمرابطين وقد كثر هذا النوع من المباني خاصة بعد هجمات البرتغال والأسبان على شواطئ المغرب العربي.

ويرجع ظهورها بالمغرب العربي بعد ظهور الطرق الصوفية والتي اشتملت المشرق العربي لتنتشر فيما بعد بالمغرب العربي، ويقول في هذا الصدد الدكتور تركي رابح وثمة وثائق تدل على ازدهارها منذ القرن الحادي عشر الميلادي، والطفل الأكبر في الحفاظ على القران الكريم [9].

ويرجع السبب في انتشارها احتجاجا على الانحراف عن المبادئ والقيم والأخلاق الإسلامية لتصبح بعد مرور الزمن المكان الذي تؤخذ منه الأدوار والأفكار الصوفية، وتتلخص الأسباب في النقاط التالية :

1- نبذ المجتمع آنذاك للسلطة بسبب انهماكها في الترف وإهمال مصالح الأفراد ليتجهوا إلى العزلة والتصوف، في أماكن بعيدة عن مرأى الناس (بداية الخلوات).

2- بحث المجتمع على قوة جديدة تحميه ويلتف حولهَا، بعد أن اضطهد من طرف الحكم، وذلك بإنهاكه بالضرائب فوجد الجماعة في الزوايا والطرق الصوفية.

3- غالبا ما كان شيوخ الطرق الصوفية، من الأشراف مما جعل الناس يتسابقون على الانتماء إليهم وإتباع تعاليمهم.

4- اعتقاد الناس بصدق كرمات شيوخ الطرق الصوفية.

5- اختيار المرابطين للريف مقر لبناء الزوايا، لتكون مجالا لنشاطهم مما يساعد على انتشار نفوذهم نظرا لحاجة سكان الريف للتعليم ومعرفة دينهم لتظهر في ما بعد الزوايا وتصبح مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية.

ويجتمع فيها المريد للذكر، وتلقى الدروس الدينية، كما كانت تتخذ مأوى لطلبة القرآن وبقية الزوار ويظهر تطور الزوايا في القرن الخامس عشر الميلادي، وبعد التقاء مشايخ الطرق الصوفية المغاربة بمشايخ الطرق الصوفية المشارقة باستمرار خصوصا في موسم الحج لأخذ العلوم الفقهية، لتكون مصر مكان التقائهم، ومكوثهم.

فكانت الزاوية في غاية الأهمية لسكان المغرب حيث كانت تقوم بالأدوار دينية من تعلم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم والتربية الروحية والأخلاقية ولها وجود اجتماعي وأيضا لها مكانة سياسية في البوادي المغربية، حيث أن مشايخ الزوايا يقومون بدور الحكام بين القبائل والعشائر، لتعرف الزاوية في أواخر القرن الثامن هجري بمكان معد للعبادة كالمسجد ويشتمل على المواقف للطلبة المجاورين لها والواردين عليها وعابر السبيل قيل أنها عرفت " بدار الكرامة " كالتي بناها الملك يعقوب المنصور الموحدين في مراكش بالمغرب الأقصى.

وأطلق عليها المرينيون اسم " دار الضيوف" ومن ذلك الزاوية العظيمة والتي أسسها الملك بوعنان المريني خارج "سالا" لتعرف بعد ذلك بالمغرب العربي بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها مريدوهم لذكر الأوراد، ومكانا للطلبة وبقية الزوار[11].

3. الجانب التنظيمي للزوايا بالجزائر :

ذكرنا سالفاً ما معنى الزوايا وإن اختلفت تعاريفها إلا أن لها نفس القصد ونفس الهدف فهي المكان الذي يلتقي فيه المشايخ بالمريدين وأتباع الطرق الصوفية لأخذ العلوم الدينية والفقه وحفظ القرآن ومأوى لعابري السبيل واستقبال الضيوف.

وسنتطرق الآن إلى الجانب التنظيمي للزوايا بالجزائر.

فكل الزوايا بالجزائر وان تنوعت لها تنظيم خاص بها وتقوم بنفس العمل رغم اختلافها **في الشكل.**

فنجد أن لها ثلاثة أنواع وهي ذات مضمون واحد، ولكل منها نظـام داخلـي خاص:

- النوع الأول : زوايا المشايخ :

وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي، وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب طريقة وما هو معروف بشيخ [12] الطريقة الذي يعطي الأوراد أي الميثاق، وهذا الشيخ له أتباع ومريدون (الإخوان)، والزاوية تقوم على أكتاف هؤلاء المريدين والمحسنين وهم الذين يمولون الزاوية ويجمعون لها الزكاة والصدقات والتبرعات ويقدمونها للشيخ وهنا الشيخ هو الذي ينفق على الزاوية ويوفر للطلبة كل حاجاتهم اللازمة كما يدفع للمعلم أجره وهو الذي يعينه، وكذلك يعين المواد التي تدرس للطلبة وعادة يشارك في التدريس ويعطي الدروس وكل شيء يخضع لتقاليد الزاوية، وعند وفاة الشيخ يستخلف بأحد أفراد عائلته، أخاه أو ابنه وأما عن طريق الوصاية أو تختاره العائلة ويرشح لمنصب الشيخ. وللعلم فان الشيخ هو الذي يضع للزاوية القوانين التي يراها مناسبة. هنا الزاوية لها نظام داخلي خاص بالطلبة فيتعلموا ويسكنوا مجانا فهي التي تتكفل بكل النفقات المالية .

- النوع الثاني : زوايا المرابطين :

هي تختلف عن زوايا المشايخ في بعض الجوانب التنظيمية فزاوية المشايخ ملكية خاصة كما تقدم، يتصرف فيها صاحبها كما شاء وبعضهم ليعيش هو وعائلته من موارد الزاوية.

أما زاوية المرابطين فهي ملكية جماعية فمواردها محبسة على طلبة العلم، فالمرابطون أحفاد المؤسس الأول للزاوية ، لا يحق لهم أن يأخذوا شيئا من أموال زاوية جدهم فكل التبرعات المقدمة للزاوية هي حق لطلبة العلم والفقراء والمساكين يتمثل في التبشير الجماعي حيث أنه يشبه البرلمان العصري إذ نجد كل عائلات المرابطين المنتمين إلى المؤسس الأول للزاوية لها الحق في إبداء الرأي والتسيير والمعارضة إن رأت شيئا لا يلائمها.

وكل عائلة لها عضو في مجلس المرابطين يمثلها، فلا أحد يستطيع أن يعمل شيئا أو يفرض رأيه إلا باتفاق الجماعة أو بأغلبية الأصوات ولهذا فللمجلس رئيس يسمى (الوكيل) أي وكيل المرابطين ويخولون له السلطة ويكون المسؤول المباشر داخليا وخارجيا، ويعتبر أيضا أمين المال فالطلبة عندما يحتاجون شيئا يطلبونه من الوكيل المتصرف ، فمسؤولية الوكيل هي مسؤولية اقتصادية وإدارية أما شؤون التعليم فهو كله لشيخ الزاوية فالوكيل له السلطة المطلقة.

في تسيير شؤون الزاوية المادية ما دام مستقيما ملتزما ومحترما لتقاليد الزاوية وعاداتها فإذا انحرف نجد مجلس المرابطين في اجتماع للنظر في تصرفاته المخالفة للنظام فإذا وجدوه مقصرا أو منحرفا عزلوه وعينوا وكيلا جديدا خلفا له بطبيعة الحالة بعد استشارة مجلس المرابطين وموافقته بالإجماع.

- النوع الثالث : زاوية الطلبة :

وهي فريدة من نوعها ووحيدة في القطر الجزائري وهي تختلف عن الزوايا الأخرى فطلبتها يتمتعون بالاستقلال في تسيير المؤسسة فلا يتدخل أحد في شؤونهم وشؤون مؤسستهم، فهم المسؤولين عن الزاوية وتدير شؤونها داخليا وخارجيا وأدبيا واقتصاديا، فالزاوية بعيدة عن الضغوط والتدخلات فهي تسير من طلبتها، فلا تخضع لشيخ أو مرابط فالشيء الذي يخضع له الجميع ويمتثلون له ولا يخالفونه أبدا انما هو القانون (قانون الزاوية) أو ما يمكن الإطلاق عليه اللائحة الداخلية للزاوية.

الشيء الملاحظ في هذا النوع من الزوايا أن لها نظام خاص مخالف عن الزوايا " المشايخ " وزوايا " المرابطين " حيث في هذا النوع الطلبة هم العناصر المسيرة للزاوية لا يخضعون لا لشيخ أو المرابط بل يعملون على الحفاظ على النظام الداخلي لها أو القانون الخاص بها.

وظائف الزوايا :

بعد تعرضنا إلى الجانب التنظيمي للزوايا بالجزائر سنتطرق إلى وظائفها، فعند ظهور ها كان عليها القيام بوظيفة هامة ألا وهي نشر الإسلام وترسيخ قيمه والتثقيف الديني لتعدد وظائفها في ما بعد، ليصبح لها وظيفة مهمة هي الإصلاح الاجتماعي، لتكون محلا أو مكانا لحل المشاكل الاجتماعية من فك النزاعات وخلافات الأفراد وكذا استقبال الفقراء والغرباء وأصبحت مأوى لهم، لتظل أبوابها مفتوحة طيلة السنة، وكذا مساعدة المحتاجين والطلبة بالاتفاق عليه وإن تعرضت للرفض والتدمير في وقت مضى إلا أنها استرجعت نشاطها، واستمرت في القيام بواجبها اتجاه مريديها وزوارها من مختلف شرائح المجتمع لتعيد بعد ذلك إنتاج علاقاتها الاجتماعية مع أفراد المجتمع لتبقى بذلك في اتصال دائم بهم.

وقامت بدور التوعية للشعب خاصة الفئات المحرومة والتي لم يحالفها الحظ بالالتحاق بالمدارس النظامية.

ولم تنحصر وظيفتها الاجتماعية والدينية بل توسعت إلى الوظيفة الاقتصادية والتي تمثلت في تمويل المحتاجين والفقراء والطلبة ماليا بمنحهم الملابس والمواد الغذائية.

فلطالما كانت تسعى لنزع الفوارق بين مختلف فئات المجتمع، حتى تحقق العدالة الاجتماعية، وتحافظ على الثقافة العربية الإسلامية في ظل الحملات التبشيرية المسيحية. ويبقى ظهور الطرق الصوفية في المغرب العربي بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة سببا في ظهور الزوايا، فمعظم الزوايا تتمركز في المناطق الريفية.
وتوزعت وظائف الزوايا بين الاجتماعية والتربوية .

- أولا الوظائف الاجتماعية :

1) وظيفة الإصلاح بين الناس :

لم تقتصر الزوايا على التربية الروحية في إعطاء الأوراد وحفظ القرآن الكريم وإنشاء الكتاتيب ، بل تعدت وظيفتها إلى الوظائف الاجتماعية ، تهدف إلى من خلالها بناء المجتمع الإسلامي المتماسك يسوده الإتحاد والتعاون ونبذ التفرقة والتباعد بل كانت الزوايا تعمل على إقامة العدالة الاجتماعية بين كل فئات المجتمع ومن وظائفها الاجتماعية والصلح بين الناس وفك النزاع بينهم ، فلو أخذنا على سبيل المثال النزاع الخاص بأمور الميراث فكثير من الأفراد لديهم نزاع من هذا النوع يلجؤون إلى الخليفة أو مقدم الزاوية يطرحون عليه المشكل ، ويعمل المقدم جاهدا لفك هذا النزاع ، بالتفكير في إيجاد الحلول في حدود الشرع والقانون ، وذلك بالاستناد على الكتاب والسنة.

2) المساعدات المادية :

تتمثل هده المساعدات في مساعدة المحتاجين خاصة في الأوقات الصعبة ، بالإنفاق عليهم بأطنان من حبوب القمح والتمر والزيتون والألاف من رؤوس الأغنام وغير ذلك من الأفرشة والألبسة ، هذا ما كانت تقدمه الزوايا في الماضي ، أما في الوقت الحالي فتقدم مساعدات رمزية من تبرعات الوافدين لها ويعود سبب نقص مساعدتها إلى اختلال ميزانيتها والى نقص الدخل الاقتصادي للأفراد .

والمعروف عن الزوايا أنها أماكن للعبادة وإيواء الغرباء والضيوف ، وكذا المساكين وإطعام النزلاء إلا أن هذه الوظيفة تكاد تزول نظرا للظروف الاقتصادية التي مست الزوايا في الحقبة الزمنية الماضية .

مع ذلك ما نلحظه أن الزوايا تساعد ولو بقدر قليل الشباب خاصة المقبلين على الزواج بتقديم المساعدات المادية وإقامة الزواج الجماعي .

أيضا عند ختان الأولاد نجد الزوايا تساعد الطبقة المحرومة والتي لديها أطفال في سن الختان وهذا بإقامة الحفل الجماعي وتقديم مبالغ مالية رمزية وتقديم الهدايا للأطفال.

حتى في حالة حدوث نكبة طبيعية ، تعمل الزوايا على تقديم المساعدات للمنكوبين ، وتساهم بما تملك على إعادة بناء وترميم ما أتلف وتقدم للعائلات المنكوبة المواد الغذائية والألبسة والأفرشة ، وتجمع التبرعات من المريدين القادرين ماديا لفائدة المنكوبين .

3) استقبال الزوار الوافدين للزوايا :

تعمل الزوايا على إستقبال الضيوف والزوار الوافدين من كل منطقة ففي كل مرة كان مقدم الزاوية في استقبالهم . وإن كان عددهم قليلا وتحضر لهم أماكن لإقامتهم، وتوفر لهم الأمن بالإضافة إلى حسن الضيافة .

في الماضي كان الضيوف يذهبون إلى الزوايا لقضاء أيام الزيارة ،لكن مع التغير الاجتماعي الذي طرأ على المجتمع الجزائري ، أصبح إستقبال الضيوف في بيوت أحفاد مؤسس الطرق الصوفية ، فالزائر أو الضيف القاصد للزاوية يبدأ بزيارة الزاوية إذا كانت مدة الزيارة يوم واحد ، أما إذا كانت مدة الزيارة عدة أيام فيقضي الزائر هذه المدة عند أحد أحفاد مؤسس الطريقة . أو يقيم عند الخليفة العام ببيته الذي يعتبر زاوية في حد ذاته .

4) إقامة الصدقات السنوية :

إن إقامة الصدقات بالزاوايا هي مهمة الزوار والأتباع والأحباب والمريدين حيث يقيمون حفلات وصدقات أو ما يعرف " بالوعدة " في المجتمع الجزائري بطرق مختلفة ويرجع ذلك إلى اختلاف مستوياتهم التعليمية والاجتماعية والاقتصادية . فهناك فئة من الزوار يقيمون احتفال ديني داخل الزاوية بتلاوة القرآن الكريم والذكر والمدائح الدينية .وكذا تقديم مدائح تذكر بمناقب "الشيخ الصالح " أي مؤسس طريقة صوفية ما،وهناك من يحتفل بالزاوية،بإقامة الذبائح ،على حسب القدرة الشرائية ، كذلك تحضير مختلف الأكلات الشعبية وتقديم حفلات غنائية يقتصر على القصائد الخاصة بمؤسس الطريقة ،بمدحه ،وقد يستغرق مدة الاحتفال من يوم إلى غاية أسبوع كامل وتعتبر الصدقات السنوية مناسبة للزيارة فرصة لالتقاء الزوار ببعضهم البعض وتبادل الآراء لتتكون بذلك علاقات اجتماعية ، ومناسبة لتذكر الفقراء والطالبين للنصح وللإرشاد والمعرفة الدينية.

4) لجوء المصابين للزوايا :

ما نلحظه أن الأفراد المصابين بمس من "الجن" يلجؤون مباشرة إلى الزوايا ، فمعظمهم يذهبون إلى الزوايا لتتلى عليهم آيات من القرآن الكريم علهم يجدون الشفاء هناك ، ونجد أفراد آخرين يلجؤون إلى الزوايا ، ويمكثون بها الأيام الطويلة ، وحسب

رأيهم أنه بمجرد التردد على هذا النوع من الأماكن المقدسة ، ويلجئون إلى مقدمها ، يخفف عليهم الضرر ويتماثلون للشفاء من حالة " المس" بمجرد الاتصال بمقدم الزاوية. وفي هذه النقطة بذات يظهر اختلاف وتضارب في الآراء .

- ثانيا الوظائف التربوية

1- طرق التدريس بالمدارس القرآنية :

تقوم الزوايا بوظائف تربوية والمتمثلة في حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية والذكر فهذه الوظيفة لم تزول فالزوايا تعمل على إنشاء المدارس القرآنية (أو الكتاتيب) لتعليم الناس وخاصة فئة الأطفال . فالمدارس القرآنية هي أمكنة للتعلم وحفظ القرآن الكريم ويقول ابن خلدون في هذا الصدد :"وكان هؤلاء الصحابة والتابعون هم أول المعلمين في القيروان الذين نشروا القرآن الكريم والسنة ومبادئ اللغة العربية بين البربر،وبدلك تم إسلام البربر ، وأصبحت لغتهم العربية . وعلى هذه الحلقة تخرجت الفئة الأولى من علماء الدين في القيروان وفي المغرب كله ، أمثال أسد بن الفرات . ولم تكن حلقات العلم الكثيرة في مساجد القيروان مما يشبع فهم طلاب العلم فكانت الرحلة في طلب العلم [13].

وعليه فقد عملت الطرق الصوفية على بناء الزوايا من أجل تعليم الأفراد وتنويرهم ، فكان التدريس في السابق موجود بالزوايا ،ولكن بعد فترة من الزمن انفصلت هذه المدارس القرآنية عن مكان الزاوية . وهذه المدارس عادة ما تكون عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورتين للزاوية أو بعيدة عنها ، وقد تكون غرفة في منزل وقد يبنى الكتاب خصيصا لتعليم القرآن الكريم والمدرسة القرآنية منذ أن ظهرت مؤثثة بأثاث بسيط المتمثل في الحصير المصنوع من الحلفاء والدوم والزرابي (سجاجيد من جلد الغنم) ومجموعة ألواح خشبية وأقلام من قصب ، وكمية من الصلصال والصمغ وجرار الماء وبعض الكتب الفقهية والنحوية والصرفية . والتعليم بالكتاب ومنه ينتقل

التلاميذ إلى الزوايا والمساجد الكبرى للطرق الصوفية لإنهاء دراستهم .هذا كان في الماضي ، ولكن بعد ظهور التعليم النظامي وتواجد المدارس الحكومية . والنظام المعمول به بالمدارس التابعة للزوايا أنه عند انتهاء الطفل من تعلم اللغة العربية وحفظ أجزاء من القرآن الكريم ينتقل إلى المرحلة الابتدائية يدخل إلى المدرسة النظامية لكن لا يمنعه من أن يكمل حفظه للقرآن وكيفية الكتابة والقراءة تعلم المبادئ الأخلاقية الإسلامية.

وبهذا تكون المدارس القرآنية التابعة للزوايا قد أعطت صورة حية للثقافة العامة التي كانت منتشرة .

الخاتمة :

في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية التي يشهدها المجتمع الجزائري ،تعرضت كل المؤسسات الدينية والاجتماعية إلى تغيير في الوظائف والأدوار ، إلا أن الزوايا استمرت في تقديم وظائفها وخاصة في الآونة الأخيرة أين استعادت نشاطها ومكانتها الاجتماعية والثقافية والدينية،باعتبارها مؤسسة ذات طابع ديني واجتماعي لها الحق في ممارسة كل وظائفها، فهي المكان الذي يجتمع فيه كل شرائح المجتمع باختلاف مستوياتهم التعليمية والاجتماعية، وكذا الاقتصادية.

وتقوم الزوايا بأدوار اجتماعية فعالة خصوصا في الوقت الحالي ، إضافة لدورها في الإصلاح الاجتماعي وفك النزاعات والعمل على إيجاد الحلول للمشكلات الاجتماعية فهي تعمل على نشر الإسلام في بلاد الغرب ويرجع الفضل في ذلك لأتباعها ومريديها المنتشرين في كل ربوع المعمورة.

فشعارها هو " كل الأفراد داخل الزوايا سواسية حيث تذوب كل الفوارق ".

الهوامش :

1. أسعد (الخطيب)، البطولة والفداء عند الصوفية ، دراسة تاريخية ، مكتبة الغزالي ، ط1، دمشق،1995.
2. إبراهيم (حسن) وآخرون ،المعجم العربي الأساسي للناطقين باللغة العربية لاروس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بيروت 1989.
3. أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10-14هـ (16-20م)، ج1، المؤسسة الوطنية للطباعة الجزائر، 1985.
4. بن سالم (ليليا) وكلنر (أرنست) وآخرون، ترجمة عبد الأحد الشتى انثروبولوجيا والتاريخ، دار توبقال، المغرب 1985.
5. حجي (محمد)، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية المغرب، 1969.
6. طالب (عبد الرحمان) وآخرون، السدود التي خفضت من الغزو الثقافي الأجنبي، الأصالة، محاضرات الفكر الإسلامي العشار، ج2، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر، 1985.
7. طالب (عبد الرحمن) ، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900-1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1983 .
8. غربال (محمد شفيق) وآخرون، الموسوعة العربية المسيرة، دار الشعب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1975.
9. نسيب (محمد) ، الزوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر، الجزائر ، 1989.